

الصورة المرئية
(نقد الواقع وتشكيل الوعي)
دراسة سيميائية في البعد الوظيفي للكاريكاتير
م.د. همام ياسين شكر محمود

الصورة المرئية
(نقد الواقع وتشكيل الوعي)
دراسة سيميائية في البعد الوظيفي للكاريكاتير
Visual image

(Critique of reality and formation of awareness)

A semiotic study of the functional dimension of caricature

م.د. همام ياسين شكر محمود*

homamhomam@gmail.com

الملخص:

ليست الصورة تشكيلا جمالياً أو زينةً للمتعة والإثارة فحسب، وإنما تضطلع أيضاً بحمل دلالاتٍ متعددة فكرية أو عقائدية، فكلُّ صورةٍ تحملُ بعداً تثقيفياً يُعيدُ صياغةَ الاعتقادات، أو يُمهِّدُ لقبولِ المستجدِ منها. والصورةُ ليست كائناً يُغرِّدُ خارجَ سربِ المرجعيةِ الفكريةِ للكاتبِ، تُرسمُ الصورُ داخلَ الإطارِ الفكريِّ المحددِ سلفاً من قبلِ المرسلِ أو بالأحرى من قبلِ وعيه الفكريِّ. وبما أنَّ الصورةَ علامةٌ دالةٌ فهي إذن شكلٌ من أشكالِ التواصلِ، لها القدرةُ على إحداثِ التأثيرِ المطلوبِ في المتلقي، نظراً لما تُثيره من عواطفٍ وانفعالاتٍ، فهي تجعلُ المتلقيَ حاضرَ الذهنِ إزاءَ ما يُطرحُ، لأنَّها ببساطةِ عالمٌ دلاليٌّ مملوءٌ بكلِّ ما من شأنه أن يستميلَ المتلقيَ، ويدعوه إلى الانغماسِ في خضمِ مشهدِ الصورةِ، فيستجلي تفاصيلها وأجزائها، وما تبطنه من رموزٍ؛ لذلك لا غنى للمتلقي من امتلاكِ ثقافةٍ بصريةٍ تساعدهُ على قراءةِ أبجدياتِ الصورِ التي يستقبلها، بواسطةِ الاشتغالِ على البحثِ في كيفياتِ تدليلِ الصورةِ وإحياءاتها السيميائية، فثمة خطابٌ قابِعٌ هناك في ما وراء الصورةِ، قد يكون نقدياً أو ثقافياً أو إشهارياً.

* دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية/ ديوان الوقف السني.

إنَّ الصورة الكاريكاتورية هي رسم تشكيليّ يتميز بالطرافة، وبالقدرة على جذب انتباه المتلقي، يعبر عن فكرة ما بتعبير ساخر، لكنَّ سخريته هذه ليست سخرية بقصد الاضحاك والتسلية، وإنما هي سخريّة نقديةٌ لاذعة، تستهدف منظوماتٍ فكريةً وعادات اجتماعية، تُعريها وتُظهر زيفها وتخبئها وتتاقضاتها، هي سخريّة سوداء، تُضحك وتُبكي في آنٍ واحدٍ، بل ربما تُبكي أكثر مما تُضحك، هي مأساةٌ وملهأةٌ، هي باختصار تراجيكوميديا.

تلقي هذه الدراسةُ الضوءَ على آليات اشتغال الصورة الكاريكاتورية في نقدها للواقع من جهة، ومدى قدرتها على إيضاح وتثوير وعي الجمهور أو تضليله من جهة أخرى، وتأتي أهمية الدراسة لأنها تسهم في إمكانية تزويد القارئ بالأدوات الفنية والأدبية التي تساعده في قراءة هذا النوع من الصور؛ لاسيما وأن هذه الصور تقتحم جوانب وقضايا مصيرية ومهمة، كالقضايا الاجتماعية والسياسية والثقافية.

الكلمات المفتاحية: الصورة، الكاريكاتير، تشكيل الوعي، نقد الواقع، السيميائية

Abstract:

The image is not only an aesthetic formation or adornment for pleasure and excitement, but it also carries several intellectual or ideological connotations. Each image carries an educational dimension that reformulates beliefs, or paves the way for the acceptance of new ones. The image is not an object that tweets outside the flock of the writer's intellectual reference. Images are drawn within the intellectual framework predetermined by the sender, or rather by his intellectual awareness. Since the image is a significant sign, it is therefore a form of communication, it has the ability to produce the desired effect on the recipient, due to the emotions and emotions it arouses. It makes the recipient present in mind to what is presented, because it is simply a semantic world filled with everything that would attract the recipient, and invite him to immerse himself in the midst of the image scene, so he becomes clear about its details and parts. , and the symbols hidden within it; Therefore, it is indispensable for the recipient to have a visual culture that helps him read basics of the images he receives.

This research paper sheds light on the mechanisms of how the caricature image works in its criticism of reality on the one hand, and the extent of its ability to illuminate and enlighten the public's awareness or mislead it on the other hand. The importance of the study lies in the fact that it contributes to the possibility of providing the reader with the artistic and

الصورة المرئية

(نقد الواقع وتشكيل الوعي)

دراسة سيميائية في البعد الوظيفي للكاريكاتير

م.د. همام ياسين شكر محمود

literary tools that help him in reading this type of image. ; Especially since these images touch upon crucial and important aspects and issues, such as social, political and cultural issues.

Keywords: image, caricature, formation of consciousness, realistic criticism, semiotics.

مقدمة

يُشكّل الكاريكاتير مجالاً فنياً إبداعياً لم يزل يُطارد معظم جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والدينية، فنادرًا ما تجد قضية سياسية أو مشكلة اجتماعية أو ظاهرة ثقافية أو اقتصادية أو حتى صحية لم تقتحمها خطوط الكاريكاتير، بشكله الطريف، وبُعدّه الفكري العميق، فهو فنٌّ بصريٌّ مختزلٌ، قد يضم بين خطوطه أفكارا عميقة، ودلالات كثيرة، فكل ما فيه علامة قد تنبئ عن شيء ما، فالتشكيل، واللون، والخلفية، وزاوية الرؤية، كلها علامات بصرية يجب أن نقرأ جيدا في سبيل الوصول إلى الدلالة، لاسيما وأنّ الكاريكاتير قد يتجاوز الخطوط الحمراء وهو يتعرض للسياسة أو الدين.

لذلك انتهجت الدراسة منهجاً سيميائياً في التحليل، لأنّ القراءة السيميائية كفيلة بأن تتلقف المعنى الكامن خلف الرسوم الكاريكاتيرية، انطلاقاً من تحرير الدال من قيده الدلالي القريب، فالدال- بحسب المقاربة السيميائية- قابل للتعدد القرائي وغير مقتصر على الإشارة إلى شيء مباشر، وهكذا إجراء سيفتح الباب للمؤول إلى عدد كبير وربما لا متناه من الدلالات التي ستُضبط فيما بعد وتُحجّم بغية الوصول إلى المعنى الذي يطمئن إليه القارئ.

تننظم الدراسة في ثلاثة محاور قُسمت بحسب الثيمة الكاريكاتيرية، أما المحور الأول فيقرأ -سيميائياً- الكاريكاتير السياسي، وأما الثاني ففيه قراءة للكاريكاتير الاجتماعي، في حين اختص المحور الثالث بالكاريكاتير الديني، تسير الدراسة على نفس النسق في المحاور الثلاثة، تصف الكاريكاتير ثم تُحلله على وفق معطيات المنهج السيميائي. وقد اعتمدت الدراسة على انتقاء نماذج متعددة من الصور الكاريكاتيرية، بغض النظر عن ذكر مرسلها أو جهة نشرها، لأنّها صورة،

والصورة لا شك هي خطاب مؤثر، والدراسة تبحث في آليات اشتغال الصورة، لكن الدراسة راعت بالتأكيد الواقع الاجتماعي الذي ظهرت فيها الصورة، لأن السيميائية تدرس - كما يرى دي سوسير - حياة العلامة داخل الحياة الاجتماعية.

إن الدراسة في محاورها الثلاثة تراعي بعدين، الأول: نقديّ يشغل على قراءة الجانب النقدي في الصورة، فكل صورة تحمل بعداً نقدياً، يعالج قضية ما سياسية أو اجتماعية أو دينية، وأما الثاني فهو بعد توعوي يشغل على قراءة الجانب التوعوي في الصورة، فكل صورة كذلك لا بدّ وأنها ستؤثر في وعي المتلقي، حيث يتأثر الوعي بالصورة، وتتأثر الصورة بالوعي، كلاهما يؤثر في الآخر ويتأثر به، فقد تصنع الصورة الوعي وتُشكِّله كما تريد، شيئاً فشيئاً وبصورة تدريجية غير مباشرة، فالصورة في النهاية ليست كائناتاً يُعَرِّد خارج سرب المرجعية الفكرية للمصور، حيث تُرسم الصور داخل الإطار الفكري المحدد سلفاً من قبل المرسل أو بالأحرى من قبل وعيه الفكري.

الكاريكاتير، نظرة موجزة

الكاريكاتير في أوجز مفاهيمه هو فنٌ بصريّ يستعمل الرسم بطريقة خاصة ليست بالمنطقية إن صح التعبير، ولعلّ عدم المنطقية هذا يأتي من كون تلك الرسومات لا يُراعى فيها الشكل الطبيعي للشيء المرسوم، بمعنى أنّها قد تبعثر أجزاءه، أو تحزف ملامحه الطبيعية، أو تصبغه بصبغة تهكمية فاقعة، فتبالغ وتغالي في الرسة إلى حدّ بعيد، فترى غالباً - في رسومات الأشخاص - أنّ الرأس أكبر حجماً من الجسد، أو أنّ اللسان أكثر طولاً من اليد، أو أنّ للشخص أكثر من يدين اثنتين... الخ. الكاريكاتير إذاً هو صورة أو رسومات أو رموز تتناول شخصية ما، أو قضية ما، سياسية أو اجتماعية أو دينية أو اقتصادية، غالباً لنقدها بصورة بسيطة وطريفة وساخرة في الوقت ذاته. وقد جاء في (معجم المصطلحات التربوية والنفسية) بأنّ الكاريكاتير هو: "رسوم وأفكار تعرض بغرض التأثير على الأفراد بأسلوب مرح أو مستحب، وتعد الفكاهة والسخرية الداعمتين الأساسيتين لهذه الرسوم"^(١).

(١) معجم المصطلحات التربوية والنفسية: حسن شحاتة، زينب النجا، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٣م،

الصورة المرئية

(نقد الواقع وتشكيل الوعي)

دراسة سيميائية في البعد الوظيفي للكاريكاتير

م.د. همام ياسين شكر محمود

ولعلَّ طرافة الكاريكاتير وبساطته هما من حققتا له قوة الانتشار وسرعته بين الأوساط الاجتماعية، فالعين تنجذب لما يستفزها، والكاريكاتير مما يستفز البصر لاسيما إذا اشتغل الرسام على إغراء المستقبل فشكّل صورته بإتقان، فهياً لها اللون المناسب، وزاوية الرؤية المناسبة، وأنتها بكل من شأنه أن يجذب المتلقي إليها.

وصفوة القول إذا ما أردنا أن نقدّم خلاصة موجزة عن الكاريكاتير، فهو فن تعبيرى رافق المجتمعات الانسانية منذ أمد بعيد، وتطور شيئاً فشيئاً في الألوان والأشكال والتقنيات حتى استوى بالشكل الذي نعرفه اليوم. أمّا أصل الكلمة فهو مشتق من كلمة كاريكاتورا (CARICATURA)، وأول ظهورها كان في ايطاليا، وأطلقت حينها على الصور والرسوم التي تحمل طابعها فكاهياً^(١).

خطاب الصورة بوصفه سلطة

للصورة تاريخ طاعن في القدم، فقد رافقت الانسان منذ بداياته الأولى، ولا تزال ترافقه حتى اللحظة، في حله وترحاله، في يقظته وحتى في نومه، تقنحه دون استئذان، وتحاصره في البيت وفي الشارع وفي العمل. لقد تجاوزت الصورة كونها مجرد معطى فني إلى معطيات أخرى ثقافية وحضارية واجتماعية، حتى أصبح هذا القرن هو عصر الصورة بامتياز.

ولعلَّ من يقين القول إنَّ الصورة بكل أشكالها لا بدَّ وأنها ستمارس سلطة على المتلقي، وربما تعيد صناعة أو تشكيل وعيه، أو تُغيّر من قناعاته وأفكاره، أو تُنمط سلوكياته أو معتقداته، فليست الصورة تشكياً جالياً أو زينةً للمتعة والإثارة فحسب، وإنّما تضطلع أيضاً بحمل دلالاتٍ عدة فكرية أو عقائدية، فكلُّ صورة تحمل "بعداً تثقيفياً يُعيد صياغة الاعتقادات، أو يُمهّد لقبول المستجد منها"^(٢).

(١) ينظر: فن الكاريكاتير، لمحات عن بداياته وحاضره عربياً وعالمياً: كاظم شمهود طاهر، أزمنة للنشر والتوزيع، ط١، عمّان، ٢٤. وينظر ايضاً: الكاريكاتير في الصحافة: د.حمدان خضر السالم، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠١٣، ٢٧.

(٢) شعرية المشهد في الابداع الادبي: حبيب مونسى، دار الغرب، الجزائر، ٢٠٠٣م، ٧٨.

تتمثل الصورة في أحد وجوهها بأنها خطابٌ بصريٌّ مراوغ ، فكونها خطاباً لأنها أداة اتصال وتواصل بين باثٍ ومستقبل حتى وإن كانت لا تحمل إرسالات أو إبلغات لسانية فهي ملفوظ بصري يوازي الملفوظ اللساني وقد يتفوق عليه في التأثير، وكونها تتصف بالمراوغة فلأنها قد تضرر خلاف ما تظهر وقد توقع المتلقي في شباكها بعد أن تقوم بإغرائه بناءً على ما يتهيأ لها من تنوع الأشكال والألوان وزوايا الرؤيا.

فالصورة إذن علامةٌ سيميائية دالة، وشكلٌ خطيرٌ من أشكال التواصل، لها القدرة على التأثير في المتلقي، نظراً لما تُثيره من عواطف وانفعالات، فهي تجعل المتلقي حاضر الذهن إزاء ما يُطرح، لأنها ببساطة عالمٌ دلاليٌّ مملوءٌ بكلِّ ما من شأنه أن يطوّع المتلقي ويستميله، ولأنها أيضاً " تُضفي على الجمود الفكري حركةً وحيويةً وتبعثُ النشاطَ عبر المخيلة، فتثير الانفعال، وتدعو المتلقي إلى الانغماس في خضم مشهد الصورة، فيستجلي تفاصيلها وأجزاءها، وما تبطنه من رموز فتزيد به العاطفة استثارة، وتتغلغل في الشعور الباطن فترسخ في الوعي، ثم تنعكس سلوكاً فكرياً وعملاً" (١). إن الصورة - كما يقول ستيفين أولمان - : " من بين أدوات الخطاب الانفعالي الأكثر قوة" (٢).

الكاريكاتير (نقد الواقع وتشكيل الوعي)

يُعدُّ الكاريكاتير واحداً من أهم الأدوات الفنية التي تجعل المتلقي ربما متيقناً بأن هذا الفن لم يُخلق إلا للنقد وتشكيل الوعي، فما أن تلمح عين المتلقي صورة كاريكاتورية إلا ويرتسم في ذهنه مباشرة أنّ هناك نقداً ما لقضية سياسية أو آفة اجتماعية أو فكر ديني أو ما شابه ذلك، فثمة علاقة وثيقة جداً بين الكاريكاتير والنقد، ولعلّ وثاقه تلك العلاقة متأتية من بساطة هذا الفن من جهة وفاعليته النقدية من جهة أخرى، فالكاريكاتير شكل فني مناسب لتعرية الأفكار والأشخاص والأمراض الاجتماعية، نظراً لسخريته اللاذعة، وهو مناسب أيضاً لإنارة الوعي أو تضليله، فقد

(١) الصورة بين الدلالة والتأويل: معروف محمد، أطروحة دكتوراه، جامعة الجبلاني لبياس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠١٧-٢٠١٨م، ٦٤.

(٢) الصورة في الرواية: ستيفين أولمان، تر: رضوان العيادي، محمد مشبال، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠١٦م، ٢٩٣.

الصورة المرئية

(نقد الواقع وتشكيل الوعي)

دراسة سيميائية في البعد الوظيفي للكاريكاتير

م.د. همام ياسين شكر محمود

تلخص الصورة مقالاً نقدياً كاملاً، ناهيك عن إنها أسرع وأيسر انتشاراً من الملفوظات اللسانية لاسيما في ظل الثورة الرقمية التي دبت بشكل فضيع في كافة الأوساط الاجتماعية، حتى صار الواحد منا يفضل مشاهدة مئات الصور عن أن يقرأ مقالاً نقدياً واحداً، فالكاريكاتير يختزل " المساحات الشاسعة من الرؤى والأفكار التي تحتاج إلى العديد من الصحف والمقالات والصفحات من أجل إيصال المعلومة، فخطاب الصورة الممتلئ بالرموز والإيحاءات الدلالية صار له الوقع المؤثر الذي يميزه عن خطاب الكلمة"^(١).

الواقع السياسي

إنّ الواقع اليوم أكثر من أي وقت مضى بات أرضاً خصبة للتناقضات والآفات والأفكار المنحرفة، لذلك ترى انتشاراً وانتعاشاً للنقد الكاريكاتيري على كافة المستويات والخلفيات، فلا يكاد يفلت من قبضة الكاريكاتيري شيء إلا وأصابه النقد والتهكم. ففي ظل الواقع السياسي العربي والعراقي على وجه التحديد المكتظ بالمصالح والتناحر والأيديولوجيات ينشط الكاريكاتير بوصفه قوة نقدية رادعة، يصفها (د. حمدان السالم) بالسلاح الأبيض الذي يعين الناس على التفرغ أو التحريض^(٢).

ولعلّ أول ما يؤخذ على المشتغل بالسياسة سوء وفشل استخدام السلطة العامة، وهو ما يعرف بالفساد السياسي، الذي أدى إلى اهتراء واختلال منظومة الحكم في البلاد، فشاع ما شاع من التناحر، والتقاتل، والفوضى، والمحاصصة، والاختلاس، والرشى، والابتزاز، واستغلال النفوذ للمكاسب الشخصية والحزبية، وغير ذلك كثير^(٣).

(١) الخطاب البصري للصورة الكاريكاتيرية من المنظور السيميائي التداولي: اسمهان عدوان، مجلة الاتصالات والصحافة، مج ٦، ع ٢٤، الجزائر، ٢٠١٩م، ١٥٤.

(٢) ينظر: الكاريكاتير في الصحافة: ٣١.

(٣) ينظر: الفساد السياسي، دراسة في علم الاجتماع: بشير ناظم، مجلة العلوم التربوية والنفسية، ع ١٠٤، بغداد،

ومن بين ما حاربه الكاريكاتير موضوع تفشي الرشى واختلاس الأموال الذي بات ينخر في كل مفاصل الدولة، حتى صار ذلك تقليدا في أغلب المؤسسات والهيئات الحكومية، فتعطلت العدالة، وفقدت الامانة، وانعدمت الثقة بين المسؤول والمواطن، وتضاعفت الأموال في جانب وانعدمت في الجانب الآخر.



يكتسب الكاريكاتير السياسي صفته النقدية من كشف المستور وفضحه بأسلوب فني ساخر، ففي الصورتين أعلاه علامتان إحداهما لسانية والأخرى غير لسانية، تتظافر كلاهما لتكوين علامة بصرية تتجه من المرسل إلى المستقبل مكونة رسالة نقدية. إنَّ هذه العلامة البصرية وفق التصور السيميائي هي علامة منتجة للدلالة، وتزداد دلالة وبعدا وظيفيا - إن صح التعبير - حينما يكون كل ما فيها تشكيلا أو رمزاً أي ليس نقلا حرفيا أو صورة تماثلية تشبه الموضوع الذي تمثله تماما.

تصف الصورتان كمية التضليل والتجهيل اللذان تمارسهما السلطات والمؤسسات الحكومية تجاه المجتمع، ففي الصورتين ثمة مفارقة طريفة وذكية بين العلامتين اللسانية وغير اللسانية، فبينما تتجه العلامة اللسانية لنفي الرشوة بعدّها كسبا غير مشروع، تتجه العلامة غير اللسانية لإثباتها، ففي الأولى يبرّء المسؤول نفسه بقوله: (الحمد لله سمعتي نظيفة وعمرى ما مديت إيدي لرشوة)، ويفضحه فعله حين يظهر في الصورة وهو يمدُّ قدمه بدلا من يده لأخذ الرشوة، ويبرّء نفسه في الثانية بقوله: (رشوة!!؟ أعوذ بالله.. ارميها عندك في الزبالة)، ويفضحه فعله حين يُصوّر الرسام مكان (الزبالة) بأنّه أحد أدراج مكتبه.

الصورة المرئية

(نقد الواقع وتشكيل الوعي)

دراسة سيميائية في البعد الوظيفي للكاريكاتير

م.د. همام ياسين شكر محمود

لا تتوقف الرسالة في القراءة السيميائية على مجرد صورة لمسؤول وهو يأخذ رشوة، فكل دال في الرسالة - سواء كان لسانيا أو غير لسانيا - مدلول خاص يُقرأ بحسب الوسط الاجتماعي الذي ينتجه، ف(مُدُّ القدم) بدل الكف لالتقاط الرشوة، وتصوير مكان (الزبالة) بأدراج المكتب فيها إشارة للخبث السياسي الذي يخفي خلاف ما يظهر، فما يدور في العلقن غير ما يدور في الخفاء، ومن يبدو نزيها منصفا مستقيما في المظهر، قد يبدو خلاف ذلك في المخبر. وثمة دال آخر في الكاريكاتير الثاني يصور بذكاء فساد الآخر وخبثه في استغلال الشعب بالتستر بالدين لكسب المنافع الشخصية، حين يظهر الشخص المسؤول وهو يحمل بيده (مسبحة)، فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن يستقبل المتلقي الرمز المذكور على أنه رمز ديني بريء، بعد أن أعطته الصورة مدلولاً آخر وهو استعمال الدين كغطاء، فغالبا ما يُوظف الدين لخدمة السياسة، فالمعتقدات لاسيما الدينية "هي أسلحة إيديولوجية في خدمة المصالح السياسية"^(١).

يُعدُّ الكاريكاتير خطابا نقديا وتوعويا يُعبر عن هموم الشعب وشجونهم وتطلعاتهم، فقد تفتحت الصورة رغم بساطتها على سيل من أشكال الفساد، حتى إنّه يتجاوز في أحيان كثيرة الخطوط أو الأشكال المرسومة أمام المتلقي، من ذلك:



(١) إدوارد سعيد والمؤثرات الدينية للثقافة: وليام هارت، تر: د. قصي أنور الذبيان، مراجعة: د. أحمد خريس، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، ط١، ٢٠١١م. ١٣٨.

يتيح التأويل السيميائي للمؤول انتاج الدلالة بناء على واقعه المعيش، وهذا يعني أن العلامة البصرية فقيرة ما لم تُقرأ وفق معطيات السياق الاجتماعي الذي أفرزها، أي لا بدّ من الربط بين "السيميائية والسوسولوجيا عند قراءة أنظمة التواصل غير اللسانية كالصورة والأنظمة الإشارية الحركية فهذه لها سياقاتها عند انتاجها"^(١)؛ لذلك لا يمكن أن نقف الدلالة في الصورتين أعلاه على ثيمة الغنى والفقر فحسب، بل تتعدى ذلك إلى الإشارة إلى دلالات أخرى منها على سبيل المثال حجم الهوة الواسع بين الطبقة الحاكمة والشعب، والذي يشير بدوره إلى فساد الانظمة الحاكمة التي تتبنى خطابا إيديولوجيا يخفي خلاف ما يظهر، فيبدو للعلن أنه يرفع الفقراء ومحدودي الدخل، في حين أنه على العكس من ذلك تماما. ولعلّ الصورة الأولى أعلاه تصف ذلك بدقة، فيبدو الشخص البدين في الصورة وهو يُجهد نفسه في البحث عن الفقراء، حتى أنه يحمل بيديه منظارا يدويا، في حين أن الشخص الفقير يحبو تحته. ثمة مفارقة كبيرة وفجوة واسعة بين خطاب السلطة المنمّق والذي يبدو جادا ودقيقا إلى أبعد حد كما يشير إلى ذلك (المنظار)، وبين الواقع المعيش الذي يمثله الطفل المعدم كليا، والمتجرد حتى من ملابسه، فضلا عن كرامته وعزة نفسه.

إنّ تلقي الصورة في المقاربة السيميائية - كما أسلفنا - لا بدّ أن يخضع للسياق الذي أنتجت فيه، لذلك لا يمكن أن تقرأ بدانة الشخص الظاهر في الصورة ولا نحافة الطفل على أنّها بدانة ونحافة طبيعيتين، أو أنها نتيجة مرض عضوي ما، إنّ الدلالة التي سيظمن لها القارئ بالتأكيد، هي فساد السلطة الذي أدى إلى تكس الأموال في جانب وانعدامها في جانب آخر. وإلى هذا تشير الصورة الثانية والتي تظهر شخصا يحمل بيده حقيبة نقود غطت نصف جسده، وشخصا آخر معدما، رث الملاس، ضعيف البنية، يقات على فتات النقود. ولعل من المنطق أن يسأل المعدّم الشخص الثاني بالعلامة اللسانية: (من أين لك هذا؟) لكنّ مخالفة المنطق تشير إلى استفحال الفساد إلى الحد الذي يجعل المسؤول يلاحق المواطن على قوت يومه، في الوقت الذي يجب أن يُسأل هو عن سبب تضخم أمواله، لذلك يعمل الكاريكاتير وفق هذه الرؤية على إعادة تشكيل الوعي المجتمعي، بعد أن ضلته السلطة بخطاباتها المؤدلجة.

(١) سيمياء الصورة وتمثالاتها في الخطاب المرئي: عريب عيد، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)،

مج ٣٥، ٣٤، فلسطين، ٢٠٢١ م، ١٢٤٨.

الصورة المرئية

(نقد الواقع وتشكيل الوعي)

دراسة سيميائية في البعد الوظيفي للكاريكاتير

م.د. همام ياسين شكر محمود

يشتغل الكاريكاتير على تفكيك الخطاب الإيديولوجي للسلطة بأبسط وأقصر طريق، ومن ثم يسهم في زيادة وعي الأفراد بما يحيط بهم من أحداث ومؤامرات، فالخطابات التي قد تبدو للجمهور هي الخطابات الحقة، من الممكن أن تكون خطابات زائفة مضللة للوعي، فربما تأتي الحرية بمعنى العبودية، والضياء بمعنى الظلام، والصدق بمعنى الكذب، والحياة بمعنى الموت.

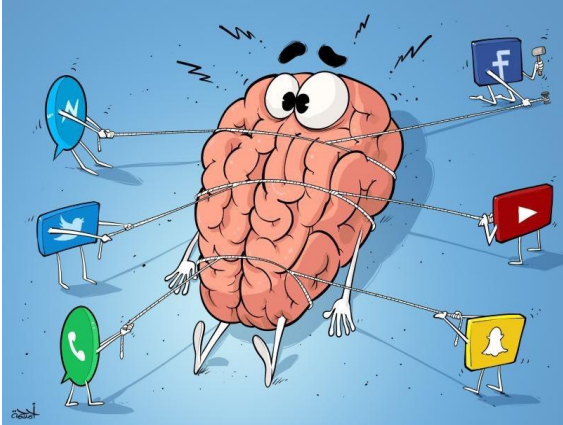


تصف الصورتان خطابين اثنين، الأول: يمثل خطاب السلطة المُعلن، والذي يبدو في الصورتين بأنه خطاب وطني لا همَّ له -في الصورة الأولى- إلا تحقيق الديمقراطية والحرية والعدالة، ولا همَّ له - في الصورة الثانية- إلا الولاء لشعبه بعيدا عن الولاءات الحزبية والمذهبية، والاملاءات الخارجية، لكن الحقيقة غير ذلك تماما لأنَّ الخطاب المضمّر -في الأولى- هو خطاب سلطوي قمعي يعد ثم يكذب، همه الوحيد هو المصلحة الشخصية وإن كان ذلك على حساب قمع الشعب، وأما في الثانية فالخطاب المضمّر هو الولاء للحزب أولا وأخرا. ويمثل الخطاب المضمّر في الأولى صعودُ المسؤول على ظهور وأكتاف الشعب، ويمثل الخطاب المضمّر في الثانية الحبلُ المشدودُ على أيدي المسؤولين والذي يحركه مسؤول الحزب أو الدولة أو المذهب أو ما شابه ذلك.

إنّ فضح المضمّر هو نقد لسياسة التجهيل والتدجين التي تمارسها السلطات تجاه شعوبها، وهو في الوقت نفسه تأكيد على ضرورة عدم الانجرار وراء الخطاب المعلنة، وإنما يجب التفتيش عما بين السطور، وهذا بدوره يسهم في زيادة وعي المجتمع، وتنوير عقولهم.

الواقع الاجتماعي

تناول الكاريكاتير عبر مسيرته التاريخية عددا من الآفات والأمراض الاجتماعية، بقصد النقد وإظهار العيوب والمفاسد من جهة، وتوعية الجمهور من جهة أخرى، فصال وجال في مختلف القضايا الاجتماعية، أو حتى تلك التي تمس المجتمع بصورة مباشرة كالاقتصاد والثقافة، فأخذ على الجمهور -على سبيل المثال- انشغاله الفظيع وغير المبرر بوسائل التواصل الاجتماعي بما فيها من ضرر مادي ومعنوي وأخلاقي وحتى اقتصادي.



إنّ استمالة المتلقي عبر تقنية المجاز البصري يُعزز من فاعلية الرسالة، ويضمن لها تأثيرا عميقا فيه، فالعلامة البصرية حين تخرج عن الشكل الطبيعي ستستفز المتلقي وتدعوه إلى النظر والتأمل، ومثال ذلك العلامتان أعلاه، فالأولى شكّلت - مجازا - فمّاً كبيراً جداً لجهاز إلكتروني (موبايل) وهو يلتهم عددا من الساعات، تُلقى إليه من أيدي رُسم عليها أشكال متعددة من وسائل التواصل الاجتماعي. إنّ الصورة بهذا التشكيل الفني المجازي ستكون ذات تأثير أكبر مما لو قيل للمتلقي إنّ أجهزة الموبايل تساهم في إضاعة الوقت.

وأما الثانية فيظهر في الصورة علامات متعددة لوسائل التواصل الاجتماعي وقد شكّلت بطريقة فنية مميزة، حيث وضع الرسام لها أيد وأرجل، أي أعطاه بعض الصفات الانسانية،

الصورة المرئية

(نقد الواقع وتشكيل الوعي)

دراسة سيميائية في البعد الوظيفي للكاريكاتير

م.د. همام ياسين شكر محمود

وصورها وهي تكبّل دماغا بشريا من كل الجهات, وهذا التشكيل لا شكّ أنه أكثر استعطافا وتطويرا للمتلقي مما لو قيل له إنّ وسائل التواصل الاجتماعي تشغل عقلك, كما أنّ خلوّه من العلامة اللسانية واقتصاره على عرض الفكرة بواسطة الرسم جعله أكثر قوة وإعمالا للذهن, وهو ما يعرف بالكاريكاتير الصامت الذي لا يحمل تعليقا داخل مساحة الرسم^(١).

وبصرف النظر عن أنسنة العلامات في الصورتين فإنّ التهام جهاز الموبايل لعدد كبير من الساعات المادية فضلا عن كبر انفراج الفم سيقوي الدلالة معنويا, وإنّ وثاقة التكبير وقوته في الصورة الثانية سيقوي الدلالة أيضا. ثم إنّ هدر الوقت وتكبير الدماغ سيصرف الانسان عن أهم أسباب وجوده, فالوقت نعمة والعقل نعمة, وكلما تعطلتا تعطل محرك المعرفة, وغرق المجتمع في مستنقع الجهل, بالتالي تصبح سيطرة الآخر عليه ممكنة جداً, بل يصبح أرضا خصبة لنمو أشكال متعددة من الجهل, والأفكار والمعتقدات الشاذة, ولعل الصورة التالية هي خير دليل على إنّ إدمان مواقع التواصل الاجتماعي, يساهم بشكل فعال في تدني مستوى الوعي الاجتماعي والثقافي.



إنّ الجهل هو مصيبة المصائب, وهو الداء العضال الذي ما أصاب مجتمعا إلا وأفسده ثم أهلكه, وما تأخرت الأمم وما تقدمت إلا بمقدار ما أصابها من الجهل أو نالها من المعرفة, لذلك لا يزال المثقفون يحذرون من الجهل وغياب المعرفة, لأنّهم أدرى الناس بمستويات وعي مجتمعاتهم, فتراهم منكبين على زيادة الوعي ومحذرين من تدنيه, عبر أعمالهم الفنية المتعددة, ومن ذلك:

(١) ينظر: الكاريكاتير في الصحافة: ٤٠.



يُصوّر الكاريكاتير أعلاه بشيء من الطرافة والتهكم حالة الانهيار الثقافي والعقم المعرفي اللذان أصابا المجتمعات العربية، ففي الصورتين نقد جلي لتدني الوعي واستفحال الجهل والتفاهات. وقد عمل اتحاد النسقين اللغوي والصوري على تعزيز الدلالة، وتشكيل المعنى المنشود في أبهى صورة. فقد جاء النسق اللغوي بلغة سهلة سلسلة استعملت اللهجة العامية، والجملة القصيرة الواضحة.

ففي الصورة الأولى علامتان لسانيان تصوران واقع الحال المرير، يظهر على اليمين بائع كتب يسأل أحدهم عن تقديم المساعدة فيما إذا كان الرجل يبحث عن كتاب ما، لكن الإجابة كسرت أفق توقع السائل، حين بادره بسؤال آخر عن أحسن محل لبيع الذرة، إنَّ حجم الهوة الواسع بين السؤالين يبين الانحدار والتدهور الثقافي الفاقع. ومثل ذلك الصورة الثانية فهناك امرأة تسأل بائع كتب عن كتاب لونه يلائم لون حقيبتها، في دلالة واضحة على اهتمام المجتمع بالمظاهر وإهمال الجوانب الثقافية والعلمية، الأمر الذي يجعل الفرد يصيح لقمة سائغة للتجهيل والتضليل والانقياد الأعمى خلف التيارات والأفكار المنحرفة.

ثمة رؤية نقدية للأدوات الاستغلالية لما بعد الحداثة، تلك التي " تتخرط ضمن إيديولوجيةٍ محددةٍ على إدامة السيطرة والهيمنة على الفرد والمجتمع كليهما، وهذا بممارسة سياسة التدجين للإنسان كفكرٍ وإنسانٍ وكذاتٍ حرةٍ " (١) مستغلةً انهماكهما بأمور الموضة والترفيه، وموهمةً إياهم

(١) الثقافة والجمال عند ثيودور أدورنو: كادي قادة عبدالجبار، رسالة ماجستير، جامعة وهران، كلية العلوم الاجتماعية، الجزائر، ٢٠١٥م، ٤٩-٥٠.

الصورة المرئية

(نقد الواقع وتشكيل الوعي)

دراسة سيميائية في البعد الوظيفي للكاريكاتير

م.د. همام ياسين شكر محمود

بتحقيق السعادة، لكنَّ هذه السعادة - بحسب (أدورنو) - زائفة تضاعف الهموم والشجون، وتشظي المشاعر إلى الحدِّ الذي تكون فيه " الشخصية لا تعني أكثر من أسنان بيضاء"^(١).

لقد شكَّل الرسامُ بائعَ الكتب في الصورتين تشكيلا يتفق مع الحدث، ليكتف من العنصر الدلالي، فأعطى للوجه في النموذجين تعابير المفاجأة والدهشة، وجعل البائع في حيز مكاني مفتوح يحيط به الفراغ والبياض من كل الجهات، وكأنه أعطى دلالة للمتلقي أن هذا البائع يغرد خارج سرب اهتمامات المجتمع المنغمس بالمتعة الزائفة.

وعلى وفق قراءة أعمق تتجاوز المستوى السطحي إلى العميق، فإنَّ الصورتين أعلاه يمكنهما إنتاج مزيد من الدلالة، لأنَّ الدلالة لا يمكن أن تقتصر أو تنحصر على العلاقة القريبة بين الدال والمدلول، بل إنَّ القارئ يمكنه أن ينتج الدلالة، لذلك يمكن القول إنَّ الصورتين تتكئان على ثنائية السلطة والمعرفة، فالكاريكاتيري لا شكَّ يعلم أنَّ ما يُرَّجَح كفة المجتمع في الصراع الدائر بينه والسلطة - بغضِّ النظر عن شكل هذه السلطة - هو امتلاك المجتمع للمعرفة، لأنَّ الإيديولوجي لا يضمن بقاءه وديمومته إلا إذا تخلَّى المجتمع عن المعرفة، يقول (جون ديوى): " الجهل والخرفات مصدر عبودية الانسان واسترقاقه، وهي الدعائم التي تستند إليه كل حكومة طاغية للاستمرار في طغيانها"^(٢).

إنَّ امتلاك المعرفة كفيل بتحرر الانسان من عبودية الغير بغض النظر عن شكل تلك العبودية، سواء أكانت عبودية لفكر أو معتقد أو عادة اجتماعية أو حتى لساعة أو متعة معينة، وسواء أكانت العبودية ظاهرة أم مضمرة، عن وعي أم غير واعية. على سبيل المثال تعاني بعض المجتمعات اليوم من قضية ارتفاع تكاليف الزواج، والذي أدى بدوره إلى ارتفاع نسب العنوسة بشكل ملحوظ، وإذا ما ألقى الباحث نظرة سريعة على القضية سيرى أنَّ من بين أهم أسباب الارتفاع هذه

(١) جدل التنوير: ماكس هوركهايمر، ثيودورف أدورنو، تر: جورج كتوره، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م، ١٩٥.

(٢) الحرية والثقافة: جون ديوى، تر: أمين مرسي قنديل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٥٦.

هو مجارة العادات والتقاليد الاجتماعية، أو محاولة تحقيق المتعة الزائفة، أو اللحاق بالموضة، أو تحقيق نمط عيش معين.



إنَّ انغماس المجتمع في الماديات، دون أي اعتبار للجانب الروحي بما في ذلك عالم القيم والمثل يضع الإنسان في مأزق، ويجعله يجري وراء المتعة الآنية الزائفة، وينسى السبب الحقيقي لوجوده، وينسى أيضا واقعه، ويظل يدور في دائرة الأحلام. على سبيل المثال لقد أصيبت الفتيات بما يسمى بمتلازمة فارس الأحلام، فخيّل لها أنها لا بدّ من أن يأتيها زوجها بكل ما تحلم به دفعة واحدة، بغض النظر عن وضعه المادي، ففي الصورة أعلاه تظهر فتاة وهي تنتظر أن يأتيها زوجها على فرس أبيض كناية عن كل ما تحلم به من ثراء ومتعة، لكنها تتفاجأ بمجيئه على دراجة هوائية، وهو يحمل وراء ظهره كل تكاليف الزواج، أما المعنى القريب فهو تصوير تكاليف الزواج الباهظة، وأما البعيد فهو نقد ما آل إليه المجتمع من حب الظهور والتباهي وإن كان على حساب تحميل النفس ما لا تحتمل، أو على حساب التخلي عن القيم والعادات الحقة.

لقد ساهم استفحال الخطاب الإشهاري والدعائي المؤدلج في الترويج للمتعة بشكل رهيب، فأوهم الشباب والفتيات بأنّ المتعة تنحصر في الزفاف الفاخر، والسيارة الفارهة، والقاعات الفخمة، وأنسأهم أنّ الزواج هو سكن ومودة، وتكوين أسرة ناجحة، وضلل عقولهم -لأسيما المرأة- بأنّها في حال عدم توفر ما تحلم به، فإنّ عليها أن تمكّن نفسها بنفسها وتستغني عن الرجل، فأوهم وضلل مستعينا بإيديولوجيا المتعة والسعادة، لذلك بدا بما لا يقبل الشكّ أنّ الترويج للمتعة وتسويقها " ليس كلاماً تجارياً فقط، بل هو أيضاً كلامٌ سياسيٌ واجتماعيٌ وأخلاقيٌ، وهو فوق هذا وذاك خطابٌ

الصورة المرئية

(نقد الواقع وتشكيل الوعي)

دراسة سيميائية في البعد الوظيفي للكاريكاتير

م.د. همام ياسين شكر محمود

إيديولوجي، إنَّه اللغة الثقافية المهيمنة^(١)، يقول د. محمد كاديك: "الخطابُ الإشهاريُّ في عمومهِ مخاتلٌ ومخادعٌ، فهو يستثمرُ القيمَ الإنسانيةَ العلياَ لتمريرِ القيمِ الماديةِ، بل ويُمرِّرُ الأيديولوجياتِ، ويسهم في توطيدِ السياساتِ"^(٢)، باختصار هو عولمةٌ للقيم والأذواقِ والسياساتِ.

ويقودنا هذا إلى الحديث عن قضية تسليع المرأة، فالكاريكاتير التالي يصور بعلاماته البصرية واللسانية ذلك بواسطة انتقاده لغلاء المهور:



إنَّ من بين ما أفرزته الأفكار الرأسمالية، هو ذلك السباق المرعب حول اكتساب المال بغض النظر عن الوسيلة، إذ تؤمن الرأسمالية أنَّ قيمة الانسان تقدر بما يمتلك من دخل مادي فحسب، ولعل هذا ما يفسر كيف أنَّ المال صار معبودا لدى البعض، حتى على حساب التخلي عن القيم الثابتة، والمنطق السليم. لقد تسللت هذه الأفكار إلى عقول الناس، حتى جعلت من المرأة وكأنها سلعة تباع وتشتري، فصارت ملكا لمن يدفع مالا أكثر.

تفلسف الصورتان أعلاه الأمر بطريقة فنية، ففي الأولى تظهر امرأة وهي تقف على كفة ميزان، وُضع على كفته الأخرى مبلغا ماليا يبدو ضخما، وفي الثانية يظهر رجلان، يبادر الرجل الجالس على يسار الصورة - وهو ولي أمر الفتاة - بمخاطبة المتقدم لخبطة ابنته بأنَّ هناك رجلا

(١) الاشهار والمجتمع: بيرنار كاتولا، تر: سعيد بنكراد، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ط١، ٢٠١٢م، ٨٠.

(٢) الخطاب الإشهاري، مناورات الابداع وجماليات التسويق: د. محمد كاديك، مجلة الخطاب والتواصل، ٦ع،

قدّم مبلغاً أكبر من الذي قدمته، وفي كلا الحالتين ثمة تسليع للمرأة، إذ لا يقتصر تسليع النساء على استغلال أجسادهن في الأعمال الدعائية كوسيلة لجلب المتبضعين، سواء في شركات التجميل أو دور الأزياء أو شركات السياحة والسفر، أو حتى محلات صناعة الأثاث وغيره، بل حتى ما ينتشر من قضية المهور الباهظة هو تسليع للمرأة، إذ تم بصورة مباشرة أو غير مباشرة تسويق نمط معين، يدّعي أنّ قيمة المرأة هو بمقدار ما يقدم لها من مال، حتى صار النساء أنفسهن يتنافسن في أيهن تحظى بمهر أكبر، دون أي اعتبار لقدسية الجسد.

الواقع الديني

يعدّ الدين واحداً من القضايا الحساسة التي صال وجال فيها الكاريكاتير عالمياً وعربياً، تارة للإساءة من رموزه وتعاليمه، وتارة أخرى لتتقيته مما علق به ونسب إليه من الإساءات والمغالطات لاسيما ما يتعلق بالغلو والتطرف، واستغلال الدين لأمر سياسي ومصالح شخصية. إنّ خطورة زج الدين في الأعمال الكاريكاتيرية متأت من جانبين، أمّا الجانب الأول فيأتي من كون الكاريكاتير علامة بصرية متاحة لكل ذي عين باصرة بغض النظر عن لسانه، فـ "الصورة الكاريكاتورية تزيل حواجز اللغة بين الناس، بحيث يتمكن كل واحد من قراءة العلامات التي تحتويها وإعطائها مدلولاً يتوافق مع مرجعيته الفكرية والثقافية، ومن ثم تتحول الصورة إلى نص بصري قابل للقراءة والتأويل بغض النظر عن لغته"^(١)، وهذا يجعل غير العربي على سبيل المثال يتلقى الصورة فقط دون أن يفهمها أو يفهم علاماتها اللسانية جيداً لأنّه لم يعيش الواقع الذي يعيشه صانع الصورة، فقد يرسم الكاريكاتير في ذهنه صورة مسيئة عن الإسلام دون أن يقصد الرسام ذلك،

وأما الجانب الآخر، فيأتي من تحميل الكاريكاتير حمولة إيديولوجية، بأن يبث الرسام أفكاراً مسيئة للدين سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، مستفيداً من بساطة الكاريكاتير وسرعة انتشاره وتأثيره على الأوساط الاجتماعية، . ولتفسير ذلك نقرأ الصورتين الآتيتين:

(١) الخطاب البصري للصورة الكاريكاتيرية من المنظور السيميائي التداولي: ١٥٤.

الصورة المرئية

(نقد الواقع وتشكيل الوعي)

دراسة سيميائية في البعد الوظيفي للكاريكاتير

م.د. همام ياسين شكر محمود



تتشكل الصورة الأولى من علامة بصرية وأخرى لسانية، كلاهما يقدمان صورة مظلمة عن الدين، فالرجل الذي على يمين الصورة - بحسب معطيات التشكيل - يمثل الإسلام، فهينته (كثافة لحيته والكتاب الذي يحمله وما كُتب على غلاف الكتاب) تشير إلى ذلك بما لا يقبل الشك، إنَّ هذا التصوير يُمثل رسالة مراوغة ستتجه حتماً إلى المتلقي وهي محمّلة بحمولة تُصوّر الدين الإسلامي على إنّه دين تعصب وظلام ووحشية، ستعزز الرسالة في ذهن المتلقي ما يُشاع على الإسلام من هذه الصفات، لاسيما إذا ما اتجهت إلى متلق فقير دينياً، في حين أنّ الإسلام غير ذلك تماماً، وسترسم في ذهنه أيضاً صورة أنّ الإسلام دين تسلط واستعباد، بحسب ما تشير إليه طريقة جلوس الرجلين، إذا يظهر أن الذي على يسار الصورة عبداً للرجل الذي على يمين الصورة، فضلاً عن طريقة تشكيل ملامح الوجهين والتي تجعل المتلقي يميل لا إرادياً إلى الاصطفاف مع الرجل المستضعف ضد الرجل الذي يظهر وهو يصرخ في وجهه، إنّ هذه الاستراتيجية في التعبير ستستميل المتلقي وتستعطفه لتبني مضمرات الرسالة، ف"الصورة الكاريكاتيرية تقول أشياء، تبعث رسائل إعلامية، وتحاول تمرير رسائل قد تكون خطيرة وغير مرغوب في نشرها، لا تتقلها بطريقة علنية مباشرة، ولكن يتم فهمها من قبل متلقيها"⁽¹⁾

(1) أبعاد الخطاب الإعلامي للصورة الكاريكاتيرية في الصحافة الجزائرية اليومية، دراسة سيميولوجية لأعداد من جريدة الشروق: قوميدي محمد لمين، بوهاني فطيمية، مجلة جسور المعرفة، مج 8، ع 2، الجزائر 2022، 54.

أما الصورة الثانية، فمع أنها تستهدف -كما يبدو- فئة معينة ممن اتخذوا الدين وسيلة للكسب والتربح غير المشروع، لكنها قد تضلل القارئ وتجعله يرى أن الدين لم يعد إقناعاً لتحقيق المصالح الشخصية، لذلك ليست هناك جدوى من الالتزام بتعاليم هذا الدين، ولعل هذا ما دعا كثيرين اليوم إلى تبني خطابات إيديولوجية علمانية ترى ضرورة أن يركن الدين جانبا، لأنه لم يعد صالحا لضبط الحياة اليومية. لقد أدى هذه الخطاب أكَّله حتى صار البعض يشمئز من ذكر أي شيء يتعلق بالدين، بل وصل الحال بالبعض أن يفضل حكم الكافر على المسلم.

وتبقى الوظيفة الأسمى للكاريكاتور في الحقل الديني هو تبرئة الدين الإسلامي مما نسب إليه من إنَّه دين قتل ووحشية وتطرف، وذلك بالفصل بين الإسلام والإرهاب، وعدم تضليل الجمهور بعلامات بصرية أو لسانية (إيديولوجية) تجعل الإسلام والإرهاب في خانة واحدة، بل توعية الجمهور بضرورة الفصل بين سماحة الإسلام، وبين التنظيمات المتذرة بالإسلام، ومن ذلك:



فالصورة الأولى التي يظهر فيها رجل ملثم، يحمل بيده اليمنى فرشاة، وبيده اليسرى قنينة باللون الأحمر، وعلى جبينه شريط أحمر مكتوب عليه (الإرهاب)، أعطت للقارئ دلالة على أن الإسلام بريء من الإرهاب والتطرف والقتل، وإنما التنظيمات والفرق الإرهابية هي من تسعى إلى صبغ الدين الإسلامي بصبغة القتل والوحشية، ولعلَّ تلوين الشريط باللون الأحمر كما القنينة فيه دلالة واضحة على دموية الفرق الإرهابية، التي لم تأتِ إلا لتشويه صورة الإسلام، بدعاوى وأفكار

الصورة المرئية

(نقد الواقع وتشكيل الوعي)

دراسة سيميائية في البعد الوظيفي للكاريكاتير

م.د. همام ياسين شكر محمود

إيديولوجية دولية وإقليمية. إنَّ وضع العلامة اللسانية على جبين الرجل ضرورية لتوعية الجمهور بضرورة التفريق بين سماحة الإسلام ووحشية الإرهاب، وهي دعوة أيضا لتتقية الإسلام مما علق به من هذه الأفكار المتطرفة. لقد أدت العلامة اللسانية وظيفية تُسمى في الدرس السيميائي بوظيفة (التوجيه) حيث وجهت إدراك المتلقي -في قراءته للصورة- مباشرة للدلالة المقصودة حتى لا يتجاوز حدوده في التأويل، فينسب الرجل الملثم الظاهر في الصورة إلى فئة أخرى غير فئة الإرهاب، لأنَّ الصورة خطاب متعدد المعاني، ولا تختلف الصورة الثانية كثيرا عن الخط النقدي والتوعوي الذي تسير عليه سابقتها، فخطاب الصورة - بحسب تشكيلها الفني الطريف- هو خطاب يحذر من التنظيمات والأفكار المتطرفة، ويصفها بأنها تقمِّم صورة مقلوبة عن الإسلام، فالطائر الأسود الذي يظهر في الصورة يُشكِّل علامة أيقونية لأحد التنظيمات التي قلبت صورة الإسلام رأسا على عقب، فضلت وأوهمت وغسلت الأدمغة، لذلك هي دعوة أيضا للتحذير من تبني تلك الأفكار الإيديولوجية التي تستميل عواطف الشباب قبل عقولهم وتقدم لهم أفكار مغلوطة عن الإسلام وتعاليمه.

إنَّ الكاريكاتير كما الأشكال الفنية الأخرى هو سلاح ذو حدين، لأنَّه قد يضلل الوعي وقد ينوره، بالتالي يجب قراءة الصورة الكاريكاتيرية جيدا لفهم مضمراتها، لاسيما إذا ما تبنت خطابا يحاول تقزير الدين الإسلامي مقابل رفع شأن الأفكار العلمانية والإلحادية.

خاتمة:

أظهر تحليل الصور الكاريكاتيرية اشتغالا دلاليا أسهم إلى حدِّ بعيد في النهوض بالقصد الذي تبتيه الصورة، فقد حقق الكاريكاتير أبعادا تداولية أسهمت في إنجاح عملية التواصل بين الباحث والمتلقي، من حيث نقد الظاهرة المستهدفة، والتأثير على وعي المستقبل. كما أظهرت الدراسة موسوعية الكاريكاتير وشموليته في معالجته للقضايا المتعددة سياسية كانت أو اجتماعية أو دينية أو حتى صحية وتقنية، فقد بدا الكاريكاتير وكأنَّه مرآة عاكسة لكل المجريات والأحداث العالمية والمحلية، بأسلوب طريف يمزج بين والفكاهة والجد، سواء في التشكيل البصري أو

في العلامات اللسانية المستعملة، التي ساهمت هي الأخرى في تعزيز الدلالة وتقوية المعنى من جهة، وتوجيه مسار المتلقي في القراءة من جهة أخرى.

المراجع:

- أبعاد الخطاب الإعلامي للصورة الكاريكاتيرية في الصحافة الجزائرية اليومية، دراسة سيميولوجية لأعداد من جريدة الشروق: قوميدي محمد لمين، بوهاني فطيمية، مجلة جسور المعرفة، مج ٨، ٢٤.
- إدوارد سعيد والمؤثرات الدينية للثقافة: وليام هارت، تر: د. قصي أنور الذيبان، مراجعة: د. أحمد خريس، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، ط ١، ٢٠١١م.
- الأشهار والمجتمع: بيرنار كاتولا، تر: سعيد بنكراد، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ط ١.
- الثقافة والجمال عند ثيودور أدورنو: كادي قادة عبدالجبار، رسالة ماجستير، جامعة وهران، كلية العلوم الاجتماعية، الجزائر، ٢٠١٥م.
- جدل التنوير: ماكس هوركهايمر، ثيودورف أدورنو، تر: جورج كتوره، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٦م.
- الحرية والثقافة: جون ديوي، تر: أمين مرسي قنديل، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الخطاب الأشهاري، مناورات الابداع وجماليات التسويق: د. محمد كاديك، مجلة الخطاب والتواصل.
- الخطاب البصري للصورة الكاريكاتيرية من المنظور السيميائي التداولي: اسمهان عدوان، مجلة الاتصالات والصحافة، مج ٦، ٢٤، الجزائر، ٢٠١٩م.
- سيمياء الصورة وتمثلاتها في الخطاب المرئي: عريب عيد، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، مج ٣٥، ٨٤، فلسطين، ٢٠٢١م.
- شعرية المشهد في الابداع الادبي: حبيب مونس، دار الغرب، الجزائر، ٢٠٠٣م.
- الصورة بين الدلالة والتأويل: معروف محمد، أطروحة دكتوراه، جامعة الجيلاني ليباس، كلية الآداب والعلوم الانسانية، ٢٠١٧-٢٠١٨م.
- الصورة في الرواية: ستيفين أولمان، تر: رضوان العيادي، محمد مشبال، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة.
- الفساد السياسي، دراسة في علم الاجتماع: بشير ناظم، مجلة العلوم التربوية والنفسية، بغداد.
- فن الكاريكاتير، لمحات عن بداياته وحاضره عربيا وعالميا: كاظم شهود طاهر، أزمنة للنشر.
- الكاريكاتير في الصحافة: د. حمدان خضر السالم، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ط ١.
- معجم المصطلحات التربوية والنفسية: حسن شحاتة، زينب النجا، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.